Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هنالك انبسطت أساريرها ، وبان عليها الارتياح ، لكنها عادت فتجهمت وهمست تسألنى فى خوف وشك :

– وهل ترين أنى أبلغ عند الله منزلة سيدنا إبراهيم الخليل ؟ فأَبَيْتُ عليها أن تيئس من رَوْح الله ، ثم هممت بالقيام معتذرة بأنى من قومى على موعد ، كى نسعى إلى « أُحُد » ثم إلى « قُبَاء[1] قبل أن ترتفع الشمس وتلتهب الصخور والرمال .

فتوسلتْ إلىّ أن أبقى هنيهة ، ريثما تقص قصتها علىّ :

* * *

نشأتْ فى بلاد المغرب الأوسط ، بدويةً حسناء ترعى الغنم . ومات أبواها وهى صبية . فكفلها أقارب لها غلاظ الأكباد . لم يكادوا يرونها تتفتح للربيع ناضجة الجسم رطبة العود ، حتى ركبهم الهمُّ واستحوذ عليهم القلق ، فهم يترصدونها نائمة صاحية ، ويتعقبونها بالليل والنهار ، يحصون عليها أنفاسها ويؤولون حركاتها وإشارتها ، ويتبعون مواقع نظراتها ومواضع خطواتها ، ويصغون إلى ما قد يَنِدُّ عنها من هذر الأحلام فى غفوة النعاس أو غشية الحمى .

وسألتهم أن يرحموها بالخباء فلم يفعلوا ، إذ لم تسعف عليه بيئتهم وهم بدو من فقراء الرعاة . وهكذا استقبلت ربيع العمر فى ظلّ رماح مشرعة ، تنتظر بها نظرة شاردة أو ضحكة ناعمة ، كى تمزق بدنها وتبعث به إلى القبر : أكرم مأوى للأنثى فى شرائع البداة الجفاة !

ولم تكن تدرى كيف تنأى عن مواطن الشبهات الظالمة ، فقد بدا أن قومها لم يكن يُرضيهم منها أىُّ حال :

إن وجمتْ ، قيل محزونة أرهقها الانتظار ، وإن ابتسمتْ قيل عاشقة لقيتْ الحبيب !

إن مرضت قيل مجفوة أضناها الهجر ، وإن صحّت قيل راضية صفا لها الحب !

إن نامت قيل حالمة تهفو إلى لقاء طيف المحبوب ، وإن سهرت قيل مسهدة جفاها الرقاد !

إن تجملت قيل فاجرة تتهيأ للقاء ، وإن أهملت زينتها قيل ضالة رحل عنها من تهواه ! !

---

(١) قباء : قرية على بعد ميلين جنوبى « المدينة » على يسار القاصد إلى مكة . نزل بها الرسول ﷺ فى هجرته التاريخية ، وبنى بها أول مسجد فى الإسلام